الفصل السادس

القاهرة.. والأرستقراطية

لم يكن للطبقة الوسطى قبل أعوام أية سطوة ولم يحظوا بالسكنى فى المبانى والشقق الفخمة إلا قليلاً، فقد كانت موجودة وقتذاك أرستقراطية يحسب لها كل حساب فبيدها زمام الأمور.ومنذ سنة ١٩٥٢ سافر إلى الخارج معظم الأرستقراطيين والإقطاعيين، وفضل من كان منهم من أصل تركى، دون أن يكون منتميًا إلى العائلة العثمانية المخلوعة، الإقامة فى تركيا - واختار آخرون سويسرا أو فرنسا أو - كما فعل الملك السابق فاروق - مونت كارلو. وفضل البعض البقاء بعيدًا عن الأضواء ما استطاعوا بمعاش ضئيل (وذلك فى حالة الأمراء

والأميرات السابقين) أو بما بقى لديهم بعد التأميم والمصادرة. واستمر البعض فى شغل القصور الجميلة التى تحوى أثاثاتهم يستعملونها كيف شاءوا بدخلهم الضئيل. وأبدعت سيدة مجتمع سابقة قطعًا فنية رائعة من تجميع قطع الزجاج الفاطمى أو من قطع أشغال العظم القبطية التى يمكن اقتناؤها من محال بيع القطع الأثرية والأنتيكات، وشتان بين ما تبدعه وبين ما يصنع بالجملة لأفواج السياح، ويتحول نتاج ما تصنعه إلى إحدى الجمعيات الخيرية القبطية. ويعزف أمير سابق أنغام شوبان فى الاستقبالات المحدودة من أجل البر أيضًا. ولا يتصور كثير من هؤلاء الأرستقراطيين الذين بقوا كيف يتركون مصر، فهم مخلصون لها بحماس يعسر دائمًا إدراكه ممن احتلوا أماكنهم..

ويسكن فى جاردن سيتى أثرياء الأقباط، وكثير منهم اقتنى الكتب الانجليزية وتخلق بالمعيشة الإنجليزية، ويأخذك العجب وقليل من الحزن أيضًا وأنت تزورهم فى غرف مكاتبهم.. التى رصت جدرانها بالكتب عندما

يسألونك بذهن شارد عن اسم كان ملء الأفواه فى عالم الأدب أو عن «زيد» أو «عمرو» الذى كان يشغل مركز نائب دولة أو سفير ثم بات فى هامش الحياة.

وقد نبذ الأقباط الأسماء الإنجليزية واختفت أسماء مثل وليم وجفرى وسسل، وحل محلها أسماء أكثر فطنة مثل «توفيق» أو حتى «جمال» وهى مدلولات غير محددة تنفع للمسلمين والأقباط على السواء.